دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ
ISSN 1813-7733
المجلد الرابع, ديسمبر 2007م (ص145-168)

ظواهر الانحراف الاجتماعي في المجتمع الإسلامي ومعالجتها: "رؤية إسلامية "

د. محمد عبد الصمد*

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين . وبعد :

فقد شهدت الإنسانية عن طريق أحداث العقود الماضية من فشل التجارب الغربية التي طبّقت في مجالات السياسة الاقتصادية والسياسة الاجتماعية والتربية وغيرها من المجالات في المجتمعات الإسلامية، وثبت بالتأكيد أن النظم والمبادئ المستمدة من الغرب عاجزة تمام العجز عن تقديم ما يشبع احتياجات وضروريات الإنسان وعجزت كذلك عمّا يواجه مشكلاته المتزايدة يوماً بعد يوم في شؤون الحياة المختلفة.

ومهما توصّلت العلوم الاجتماعية والسلوكية لدى الغرب إلى حقائق ونظريات تتعلق بمقومات الحياة الاجتماعية فإنها أصبحت تواجه مشكلاتٍ حادّة في المجتمعات الإسلامية مما جعلهم يعقدون العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية لقصد الخروج من هذه الأزمة، ولتأثير دور هذه العلوم في مواجهة المشكلات وتشخيص الأسباب التي أدّت إلى ذلك، ولكن كانت كلها بلا جدوى، فأدركوا أخيرًا أن أحد الأسباب الرئيسة لهذه الإشكالية هو أنّ هذه العلوم قد أغفلت أخذ الإسلام في الاعتبار عند دراسة أوضاع المجتمعات الإسلامية وظررفها، وما يكتنفها من الظواهر والمشكلات والانحرافات من ناحية، أو عند وضع برامج العمل الميداني لإشباع حاجات الناس ومواجهة مشكلاتهم ورفع مستويات حياتهم من ناحية أخرى. فالإسلام هو من العناصر الرئيسة المؤثرة في الحياة والثقافة في المجتمع المسلم[1] . فلقد أدّى الإسلام ويؤدّي دورًا بارزًا في تحديد الهوية الحضارية والثقافية لهذا المجتمع بعكس ما عليه الحال في المجتمعات الغربية.

ومن هنا ظهرت في السنوات الأخيرة الحركةُ العلميةُ المنظمة التي اعتنت بالتوجيه الإسلامي للعلوم الإنسانية والاجتماعية في البلاد الإسلامية، وتعني

* أستاذ مساعد قسم اللغة العربية وآدابها،الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ

هذه الحركة محاولة صياغة هذه العلوم وما يتعلق بها من مهن المساعدة الإنسانية في ضوء الرؤية الإسلامية، وكذلك ما تستند إليه من تصوّر متميّز للإنسان والحياة والمجتمع والكون، وهذه العناصر الأربع تشكّل موضوع هذه العلوم وتلك المهن التي تعنى بالخدمة الإنسانية.

وفي هذه الأيّام انتشرت في المجتمع الإسلامي أنواعٌ مختلفةٌ وأشكالٌ متعددة للانحراف الاجتماعي، كلها تمسّ غالب جوانب الحياة الإنسانية، فمنها الانحراف العقدي، والانحراف الأخلاقي، وانحراف تعاطي المخدرات والمسكرات، وغير ذلك من الصور التي تبدو واضحة في المجتمع المسلم .

وإسهاماً لهذه الحركة العلمية تأتي أهمية هذا البحث الذي يستهدف إلقاء الضوء على مهنة الخدمة الاجتماعية من المنظور الإسلامي في التعامل مع أنواع الانحراف في المجتمع؛ لتحقيق الأهداف، ألا وهي: وقاية المجتمع المسلم عن الأمراض الخطرة التي تؤدي به إلى الهلاك والدمار، وعلاجها من المنظور الإسلامي.

وذلك من خلال مجموعة من العناصر المهمّة في هذا الموضوع، وهي ما يلي:

أولاً : مفهوم الانحراف الاجتماعي في نظر الإسلام .

ثانياً : عوامل الانحراف الاجتماعي وأسبابه .

ثالثاً : أنواع الانحراف الاجتماعي في التصوّر الإسلامي .

رابعاً : معالجة ظواهر الانحراف الاجتماعي من الرؤية الإسلامية .

أولاً : مفهوم الانحراف الاجتماعي في نظر الإسلام :

ـ معنى كلمة (الانحراف) لغةً :

كلمة (الانحراف) مأخوذة من مادة (ح ر ف)، ومن معانيها في اللغة العربية أنه يقال : (حرف الجبل)، أي : أعلاه المحدد، ويقال : (فلان على حرف من أمره) أي: على ناحية منه[2]. ومنه قول الله تعالى : (ومِنَ النَّاس مَنْ يَعْبُدُ الله عَلى حَرْفٍ فإنْ أصَابَه خَيْرٌ اطْمَأنَّ به) [الحج: 11]، وجاء في تفسير قوله تعالى :(على حرفٍ) : على شك في عبادته[3]. فقد شبّهَ بالحال على حرف جبل في عدم ثباته. وقال ابن عطية[4] في تفسيره (على حرفٍ): على انحراف منه عن العقيدة البيضاء . وقال الزمخشري[5]: (على حرف) : على طرف

من الدين، لا في وسطه وقلبه . وتحريف الشيء عن موضعه يعني : تغييره ، ومنه قوله سبحانه وتعالى: (مِنَ الذينَ هادوا يُحرِّفونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِه) [النساء : 46].

ـ مفهوم (الانحراف الاجتماعي) في التصوّر الإسلامي:

وقبل أن أذكر مفهوم الانحراف الاجتماعي في التصوّر الإسلامي أودّ أن أشير إلى مفهوم الانحراف في التصوّر الغربي، فنقول: إنّ للانحراف الاجتماعي تعريفات متعددةً عند الاجتماعيين الغربيين، ومن أشهرها ما يلي:

ـ يرى بعضهم أن: " طبيعة الانحرافات تتمثل في خروج أنماط معينة من السلوك على المعايير في مجتمعٍ معيّنٍ وزمنٍ معيّنٍ "[6] .

ـ ويرى بعضهم أنه : " سلوك يخالف المعايير التي يقدرها الناس، إذا اتصفت بالاستمرارية أصبح لها دورٌ سلبي في نظر الناس، وأصبح من الضروري أن تهتم بها وسائل الضبط الاجتماعي" [7] .

يتضح من هذين التعريفين أن أصل قضية الانحراف يتمثل عندهم في الخروج على القيم والمعايير الاجتماعية المتعارف عليها، فالتعريف الأول يشير إلى ألوان السلوك والتصرفات التي يخرج بها صاحبها على المعايير الاجتماعية . ويصرّح التعريف الثاني بأن المعايير هي التي يقدّرها الناس، وأصبح لصاحب الخروج على هذه المعايير دورٌ سلبيٌّ في نظر الناس . وطبقاً لهذين التعريفين أصبح الانحراف قاصرًا عن أن يشمل الانحرافُ القيمَ الدينية التي هي تفوق جميع القيم؛ لكونها من صنع الله تعالى الخالق للناس والكون وغيره .

ـ (الانحراف) في التصور الإسلامي :

أما الانحراف في التصّور الإسلامي فهو : ترك الحق والوسطية والاستقامة أياً كان موضوع الانحراف أو مجاله وصوره . والمراد بالحق هو الصراط المستقيم، وهو لا يكون إلاّ واحدًا، وما سواه باطلٌ، ومن ثَمَّ فمن انحرف عن طريق الحق وقع في طريق من طُرُق الضلال, والصراط المستقيم هو طريق الأمّة الوسط، كما جاء في قوله عزّ وجلّ : (وكَذلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلى النَّاس) [البقرة : 143] . فالصراط المستقيم هو: الطريق التي على طرفيها الإفراطُ والتفريطُ، ويتضمن أمورًا باطنةً في قلب الإنسان من اعتقادات، وإرادات وتوجهات، ويتضمن كذلك أمورًا ظاهرةً من أقوال وأفعالٍ وتصرفاتٍ.

ويتّضح لنا مما سبق أن مفهوم (الانحراف) في التصوّر الإسلامي يختلف عن التصوّر الوضعي الغربي للانحراف، وذلك فيما يلي :

1- أن التصور الإسلامي لا يقصر " الانحرافَ " على ألوان السلوك المخالفة للمعايير الاجتماعية التي تواضع عليها الناس في مجتمعٍ ما؛ لأنّ هذه المعايير في ذاتها قد تكون فاسدةً غير صحيحة في نظر الإسلام، ومن ثم يصبح الانحراف عنها أو عدم الانحراف سواء في نظر الإسلام .

2- أن الانحراف في التصور الإسلامي يكون في الخروج عن القيم والمعايير الإسلامية وتعاليم الإسلام وتشريعاته ومبادئه وحدوده .

3 -أن دائرة الانحراف في التصور الإسلامي لا تقتصر على السلوك والتصرفات والأفعال فقط، بل تشمل أيضاً الانحراف في الاعتقاد والتصوّر والفكر تماماً مثل الانحراف في المناهج والسلوك والأعمال والتصرفات، بل الانحراف في الاعتقاد أشدّ وأعظم على المنحرف في نظر الإسلام .

ثانياً : عوامل الانحراف الاجتماعي وأسبابه :

إنّ للانحراف الاجتماعي عواملَ وأسباباً تؤثر في حدوث الانحراف وقوّته ودرجته، ولذلك نرى العلماء الاجتماعيين والباحثين يسعون في البحث عن هذه الأسباب، فكتبوا بحوثا علمية كثيرة تُحاول تفسير ظاهرة الانحراف أو السلوك الانحرافي، والتعرف على العوامل والأسباب، وطبيعة العلاقة بين هذه العوامل من حيث تداخلها وتشابكها. ولكن نجد في غالب هذه الدراسات والبحوث أنها لا تخلو عن اتجاهين أساسيين وهما :

أولاً : اتجاه يقوم على البحث عن نظرية واحدة عامّةٍ تفسّر سبب السلوك الانحرافي ، وهذا الاتجاه واضح في مختلف مدارس علم الإجرام، كالمدرسة البيولوجية، والمدرسة الأنثروبولوجية، والمدرسة الاقتصادية، والمدرسة الجغرافية، والمدرسة الاجتماعية، ومدرسة الطب النفسي وغيرها.

ثانياً : اتجاه يركّز على البحث عن عوامل ومتغيرات متعددة تكون في مجموعها علّة السلوك الانحرافي. ونجد هذا الاتجاه عند العالم الإيطالي " أثريكو فيري " من المدرسة الوضعية الإيطالية التي ترى أن الانحراف ما هو إلا محصّلة مترابطة من العوامل الطبيعية والأنثروبولوجية والشخصية والاجتماعية . وعلى ذلك فقد وضع (فيري) أصول مذهب جديد فيما بعد

بمذهب تعدد العوامل أو مذهب تداخل العوامل أو الاتجاه التكاملي في تفسير الانحراف[8] .

وإذا تأملنا وجدنا أن هذه الدراسات الحديثة في هذا المجال تكاد تخلو من النـزعة الإسلامية في معظم الأحيان، واعتمدت على أبحاث ودراسات وضعية مخالفة لقواعد الدين الإسلامي، وأنها تخلو من الروح الإسلامية،

كما يرى الأستاذ علي حسن المشرفي[9]. وذلك لأن جميع هذه النظريات نظريات غربية، نشأت في التربية الغربية، وتأثرت بظروفها وأحوالها، فهي تفسر الإنسان الغربي .

أما الأمّة الإسلامية فلها خصوصياتها الفريدة في المجال النفسي والسلوكي والأخلاقي والثقافي والحضاري، ولذلك لا تتفق معها هذه الدراسات، ولا تنسجم مع طبيعة هذه الأمة وعقيدتها، إلاّ أنها لا تنكر الاستفادة من هذه الدراسات إذا كان فيها فائدة فعلاً، ولا يناقض تعاليم الدين الإسلامي . ومن ثَمَّ تبرز الحاجة الملحة للرؤية الإسلامية في تفسير السلوك الانحرافي في المجتمع الإسلامي، وهو التفسير الذي يستند إلى كتاب الله سبحانه، وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، وآراء علماء الإسلام والمجتهدين والمفكرين التي لا تعارض الكتاب والسنّة؛ وذلك للأسباب التالية:

1 -أن المنهج الإسلامي قد جعل قضية السلوك من أشد القضايا المهمّة؛ لأنها محور نشاطه وميدان عمله حتى كأنّ ذلك هو الدين كلّه .

2- أن العودة إلى قواعد الإسلام وأحكامه ومبادئه قد جعلت الاهتمام عظيماً باتباع المنهج الإسلامي في كل أمور الحياة، ومن أعظمها السلوك الانحرافي وعوامل وقوعه .

3 -أن المنهج الإسلامي يقدّم معالجة صحيحة لمشكلة السلوك الانحرافي بحيث يمكن بناء نظرية متكاملة لحل المشكلات في ضوء هذا المنهج .

وفي السنوات الأخيرة ظهرت عدّة من الدراسات والبحوث والمؤلفات التي تنطلق من التصوّر الإسلامي في معالجتها لظاهرة الانحراف[10] .

فذكر بعض الباحثين أن العوامل والأسباب التي أدّت إلى حدوث ظواهر الانحراف في التصوّر الإسلامي هي ثلاثة [11]:

1 -انقطاع أو ضعف صلة الإنسان بالله سبحانه وتعالى. ويُعدّ هذا السبب وحده كافياً للوقوع في المشكلات التي تؤدي إلى السلوك الانحرافي .

2 ـالقصور في إشباع الحاجات الدنيوية كالحاجات النفسية والمادية والاجتماعية، ولكن هذا القصور وحده لا يكون سببا لظهور الانحراف؛ لأنّ ذلك يمكن تخفيفه إذا صَاحَبَه حسنُ الصلة بالله عزّ وجلّ .

3ـ التغيير الاجتماعي السريع وما يترتب على ذلك من تفكك اجتماعي، إلا أنّ دوره في ظهور الانحراف أقل بكثير في المجتمع الذي تهيمن فيها القيمُ الإسلامية، وتبرزها مؤسساتها الاجتماعية، فيحتفظ الناس فيها بسلامة فطرتهم.

وقسّم بعض الباحثين من أمثال: محمد شحاته ربيع وآخرون[12] عوامل الانحراف الاجتماعي في ضوء التصور الإسلامي إلى قسمين رئيسين، وهما :

أولاً : عوامل ذاتية ، وتتضمن ما يلي :

الانحراف عن الفطرة، واتباع الشيطان، واتباع هوى النفس، وضعف الإيمان .

ثانياً : عوامل اجتماعية، وتحتوي على ما يلي:

الأسرة، والأصدقاء والرفقاء ، وعدم تنفيذ المجتمع لأحكام الشريعة ، وإهمال الحسبة في المجتمع .

ويؤكد علي حسن المشرفي[13] أيضاً على هذه العوامل، ويرى أنها تمثل في الأصول الثلاثة، وهي:

1 ـالأصل في الإنسان الفطرة السليمة، وعليها ينشأ الإنسان صالحاً، إذا لم يجد من المؤثرات الخارجية ما يصرفه عن حالة الصلاح .

2 ـالإنسان جبل على غريزة حبّ الذات، ومن ثَمَّ الميل الشديد إلى الإشباع المفرط لمطالب الذات، وهذه الغريزة ذات وجهين : نافع، وضار ، فالوجه الضار قد يجر الإنسان إلى الطغيان ويؤثر في المجتمع؛ ولذلك جاءت التعاليم الإسلامية لتكف الغريزة الضارّة بربط الدنيا بالآخرة، فتكون الغريزة النافعة هي المؤثرة في حبّ الذات .

3 ـالاستعداد للتأثر؛ لأن الطبع البشري يضمّ استعدادين ينـزع كل منهما بالإنسان إلى اتجاه يضاد الآخر، كما في قوله تعالى: (ونفسٍ وما سَوَّاها فَأَلْهَمها فُجورَها وتَقْواها) [الشمس: 7- 8]. وهذا التأثر يتأتى عن طريق العوامل الخارجية .

ويرى الباحث صالح إبراهيم الصنيع[14] أنّ من أهم أسباب ظاهرة الانحراف يعود إلى عدد من العوامل، وهي :

أولاً : عوامل تعود إلى الفرد ، ومن أهمها في نظر الإسلام :

أ ـ انحراف الفطرة، ومن أوجه هذا الانحراف: الكفر، الشرك، النفاق، اتباع الشيطان، البدع والشهوات .

ب ـ ضعف الإيمان والتقصير في العبادات مما يضعف صلة الإنسان بالله سبحانه وتعالى .

جـ ـ اتباع هوى النفس الأمّارة بالسوء، والسعي لتلبية شهواتها عن طريق المسالك المحرّمة شرعاً .

ثانياً : عوامل تعود إلى البيئة ، ومن أهمها :

أ ـ الوسط الاجتماعي، كالأسرة، والأصدقاء، والمجتمع .

ب ـ تبديل أحكام الله بغيرها في شؤون الحياة كلها سواء في الحكم أم في السياسة، أم في الحياة الاجتماعية والتعليم، والثقافة، والاقتصاد، والإعلام والفكر والفنون وغيرها .

جـ ـ عدم إقامة العقوبات والحدود الشرعية وتطبيقها كما يقضي الشارع .

د ـ إهمال الحسبة في المجتمع ، وجوهرها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد تبيّن مما سبق أن هذه العوامل كلها متقاربة في المعنى وإن كانت تختلف في الألفاظ، فهي تدور حول موضوع واحدٍ. وكما اتضح من ذلك أيضاً أنّ عوامل ظاهرة الانحراف الاجتماعي وأسبابها في المجتمعات الإسلامية لا علاقة لها بما هو مألوف في الكتابات الغربية والنظريات الحديثة حول هذا الموضوع، فالعوامل المذكورة تخرجنا من ضيق الفكر الوضعي الغربي إلى سعة الأصول الاعتقادية الإسلامية بما يوفّر لنا نظرة شمولية وتكاملية؛ بحيث تجمع هذه النظرة بين الاهتمام بمتطلبات الحياة وضروراتها، ومتطلبات النجاة والفوز في الآخرة، وكذلك تشمل تكامل النظرة للنظم الأسرية والاجتماعية، وينشأ في الإنسان الشعور الكامل والإحساس التام بالمسؤولية والالتزام أمام الله سبحانه وتعالى.

هذا هو التفسير لظاهرة الانحراف في المجتمع الإسلامي من نظرة الإسلام الشاملة، وتصوّره المتميّز للإنسان والحياة والمجتمع والكون، فللإسلام نظرته الخاصة للإنسان كخليفة الله في الأرض، خلق لأجل عبادة الله تعالى وحده، وطاعته المطلقة في كل أمرٍ . وهذه النظرة تقوم على مجموعة من المعتقدات[15] ، ومن أهمها ما يلي :

1 ـالإيمان بأركانه، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره .

2 ـكتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم الصحيحة هما المصدران الأساسيان لمعلومات المسلم اليقينية عن الإنسان والحياة والكون، والمجتمع .

3 ـاستحالة التعارض بين النقل والعقل، وبين الوحي والحقائق الكونية.

4 ـأنّ الوجود الدنيوي أحد أشكال وجود الإنسان، سبقه ويليه أشكالٌ أخرى للوجود، فسبقه عالم الذر، ويليه عالم البرزخ والدار الآخرة .

5 ـالإنسان حرّ الاختيار، محاسَبٌ على اختياره الإرادي ومسؤول عنه .

ثالثاً : أنواع الانحراف الاجتماعي في التصوّر الإسلامي :

عُرِفَ (الانحراف) منذ أن وُجِدت البشرية حين قتل قابيل أخاه هابيل ، وهما ابنا أبي البشر آدم عليه الصلاة والسلام، بل يرجع تاريخه قبل ذلك أيضاً، وذلك عندما خالف إبليس ـ لعنة الله تعالى عليه ـ أمر الله عزّ وجلّ بالسجود لآدم عليه السلام، كما قال تعالى: (وإِذْ قُلنَا لِلمَلائكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الكَافِرِينَ) [البقرة: 34] . ثم حدثت مخالفة آدم عليه السلام وزوجته حواء لأمر الله عزّ وجلّ. غير أنّ الله سبحانه وتعالى قد تاب على آدم عليه السلام، فقال : (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) [البقرة: 37].

مما يدلّ على أنّ (الانحراف) قديم قدم الإنسانية ذاتها، فهو ظاهرةٌ اجتماعية قائمةٌ في كل العصور وفي كل المجتمعات، وليس مختصاً بمجتمعٍ بعينه أو بزمنٍ معيّن، إلاّ أنّه قد يختلف مجتمعٌ من مجتمعٍ آخر من حيث ظهور الانحراف كثرةً أو شذوذًا، وهذا يتعلق بمدى تكرار حدوث ظاهرة الانحراف لوجود الأسباب والعوامل المؤدّية إلى ذلك .

وقد سلك الباحثون [16] في تصنيف أنواع الانحراف من التصور الإسلامي مسالك مختلفة، ومن أهم أنواعه ما يلي :

الأول : انحراف في علاقة الإنسان بالله تعالى :

المراد بعلاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى في الحقيقة هو علاقة العبد بخالقه،كما يريده الله تعالى، وتتحقق إرادته سبحانه في اتباع منهجه الذي أرسل به رُسُله لهداية الناس إلى الحق، ويشوب علاقة الإنسان بخالقه تعالى نوعان من الانحراف، وهما :

أ ـ انحراف العقيدة :

هو خروج الإنسان عن التوحيد الذي هو إفراد الله تعالى بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته كما جاء في كتاب الله تعالى وفي السنّة النبوية الصحيحة من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تحريف، فالخروج عن هذه العقيدة هي إما الكفر، وهو إنكار وجود الله تعالى . وإمّا الشرك، وهو اعتقاد الإنسان بوجود شريك لله تعالى في ربوبيته أو في ألوهيته أو في أسمائه وصفاته .

ب ـ انحراف العبادة :

وهو في الأصل عدم اتباع ما شرعه الله تعالى في العبادة، بحيث يصرف الإنسان نوعاً من أنواع العبادة إلى غير الله عزّ وجلّ، ويُشْرك به أحدًا من مخلوقاته في العبادة، من الأصنام والتماثيل والنجوم والأشجار والملائكة والأولياء وغيرهم، ويدخل في انحراف العبادة أيضاً عبادة الله سبحانه بغير ما شَرع الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، وذلك بابتداع أشياء في العبادات لم يأمر الله عزّ وجلّ بها، أو التبديل فيها، أو ترك عباداتٍ أمر الله تعالى بها .

الثاني : انحراف في علاقة الإنسان بالإنسان :

الأصل في علاقة الإنسان بالإنسان في التصوّر الإسلامي أن هذه العلاقة تنبني على الأخوّة والتراحم والتعاطف، والتلازم، وعلى الأقل لا ضرر ولا ضرار، وذلك إذا لم يتمكن الإنسان من فعل الخير فليكف أذاه عن الناس .

فالانحراف في علاقة الإنسان بالإنسان هو إتيان الإنسان بما حرّمه الله تعالى في حق أخيه الإنسان، فكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله . والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . ولذلك سنّ الله تعالى الحدود لعقاب من يتعدّى على حرمات الناس، فجعل القصاص جزاء للقتل المتعمد، وقتل اليد عقوبة السارق، والرجم عقوبة الزاني المحصن، والجلد والتعزير عقوبة الزاني

غير المحصن، والقتل والصلب جزاء الحرابة، والجلد عقوبة رمي المحصنات، فكل هذه الأعمال خروج عن حدود الله تعالى وانحراف عنها في حق الإنسان .

الثالث : انحراف في علاقة الإنسان بسائر خلق الله تعالى :

قد سخّر الله تعالى لعباده أجناساً مختلفة من الخلق من حيوان ونبات وجماد، وجعلها في خدمة الإنسان، تمدّه بما يحتاج إليه من مأكل ومشرب وملبس ومأوى، وأمر الله سبحانه أن يستخدمها في طاعة الله عزّ وجلّ، وأن يشكره على نعمه، وأن يتقي الله فيها. وقد جعل الله تعالى في ذلك أجرًا كبيرًا وثواباً جزيلاً، كما ثبت في الحديث الصحيح: " في كل ذات كبدٍ رطبةٍ أجرٌ "[17] .

فالانحراف في علاقة الإنسان بسائر خلق الله من الحيوانات يتضمّن التقصير في رعايتها وإطعامها وسقيها وتحميلها ما لا تطيق . وأما النباتات فالانحراف يتضمّن إتلافها دون حاجة والتبذير في استخدامها، ومنعها عما يحتاج إليها. وأما الجمادات فالانحراف في استخدامها يتضمن السفه والتبذير ومنعها عمن يحتاج إليها واستخدامها في معصية الله. ولعلّ هذا الانحراف قد يسبّب كثيرًا من المشكلات والأضرار التي ألحقها الإنسان والمجتمع بالبيئة نتيجة غفلته عن هذا البعد الإسلامي في علاقته بسائر الموجودات في المجتمع .

وأما مدى ظهور الانحراف في المجتمع فنجد الانحرافات التالية:

أولاً : الانحرافات الظاهرة :

المراد بها أنماط السلوك الظاهر التي يمكن للآخرين أن يدركوها بحواسهم ، ويمكن إثباتها وإقامة الدليل عليها، وتتضمن هذه الانحرافات ما يلي :

أ ـ انحراف اللسان :

فكل كلام الإنسان محسوب عليه، ومحاسب عليه أيضاً، ولذلك إذا همّ الإنسان بالكلام وجب عليه تدبّره وتحرّي نتائجه، فإن كان خيرًا أمضاه، وإلا صَمَت، كما جاء في الحديث النبوي الذي أخرجه البخاري ، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : " ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت " [18] .

وانحرافات اللسان عظيمة الخطر على الإنسان، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سَمِعَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: " إنّ العبد ليتكلّم بالكلمة ما يَتبَيَّنُ فيها، يزلُّ بها في النار أبعد مما بين المشرق[19] " .

وانحرافات اللسان كثيرة ، منها :

ـ الغيبة : وهي أن يذكر الإنسان أخاه الآخر بما يكره من العيوب التي فيه، وإن لم تكن فيه فهو بهتان ، والبهتان أشدّ وأعظم من الغيبة. وقد تكون الغيبة بالقول الصريح وقد تكون بالإشارة. قال تعالى : (ولا يَغْتَبْ بعضُكُم بعضاً أيُحِبُّ أحدُكم أن يأكُلَ لحمَ أخيه ميتاً فكرهْتُموه) [الحجرات: 12] .

ـ النميمة : وهي كشف الإنسان لما سمعه من شخص لآخر مما يكره لهذا الآخر سواء كره هذا الشخص القائل أم المقول في حقه ، مثل أن يقول الشخص لآخر : فلان قال فيك كذا وكذا . وقد توعّد الله تعالى الذي يمشي بالنميمة فقال : (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بنَميمٍ)[القلم : 11] .

ـ الكذب في القول والوعد واليمين :

الكذب في القول هو اختلاق أشياء لم تحدث، وروايتها على أنها قد حدثت، أو رواية ما حدث على غير التي حدث بها . والوعد الكاذب هو إعلان الإنسان عن التزامه بشيء معين في المستقبل مع نيته عدم الوفاء دون عذرٍ. واليمين الغموس (الكاذبة)، وهي: أن يقسم الإنسان على أمرٍ وهو يعلم أنه على غير ما أقسم متعمدًا الكذب في اليمين .

ـ اللعن والسب والفحش في القول :

واللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى، وذلك بأن ينسب الإنسان اللعن إلى آخر، كأن يقول: لعن الله فلاناً، وقد نهى الرسول صلّى الله عليه وسلّم عن لعن أيّ شيء حتى الحيوانات والجمادات: " ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان"[20] .

والسبّ هو من الصفات القبيحة من شخص إلى آخر، وهو محرّم أيضاً في الإسلام، كما قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: " المتسابّان شيطانان يتعاونان ويتهارجان "[21] . والفحش في القول: هو التعبير عن الأمور المستقبحة التي يُستحى منها بألفاظ صريحة أو كناية، وقد نهى عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال :

" إيّاكم والفحش فإن الله تعالى لا يحبّ الفحش ولا التفحّش "[22] .

ومن انحرافات اللسان أيضاً: المراء والجدال، وذلك بالاعتراض على كلام الغير بإظهار ما فيه من عيوبٍ، وتزكيةً للنفس، وتحقيرًا للغير، وخوض الإنسان فيما لا يعنيه.

ب ـ انحرافات الجوارح :

جوارح الإنسان وحواسّه نعمة كبيرة التي أنعم الله بها على الإنسان في الدنيا، فيمكن أن تستخدم هذه الجوارح في طاعة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، ويمكن أن تستخدم في معصيتهما، أو ما هو مباح. ولكنّ الإنسان مكلّف بأنّ هذه

الجوارح والحواس لا تستخدم إلا ما أحلّه الله لها ، ولا تمتدّ إلى غيره ممّا حرّمه الله تعالى. وانحرافات الجوارح تتضمّن كل الانحرافات التي تجرمها القوانين الوضعية، مثل: القتل، والزنا، والسرقة، والاعتداء، وانتهاك الحرمات، وإتلاف ممتلكات الغير، ومثلها أيضاً: شرب الخمر، والربا، والنظر إلى الأجنبيات وغيرها من المحرّمات.

ثانياً : الانحرافات الباطنية :

وهي أنواع من الانحرافات التي لا يمكن مشاهدتها بالعين مثل الانحرافات الظاهرة، ولا يمكن إثباتها إلا بإقرار ممن يعاني منها . وهي عبارة عن خواطر شر تجمع بين أفكار ومشاعر منحرفة تلح على النفس، وتكررها، فإذا سلك الإنسان وراءها استقرّت في نفسه، وأصبح لها تأثير على سلوكه الظاهر، وإن قاومها ذهبت عنه، وينفرد التصوّر الإسلامي بهذه الانحرافات عن غيرها من التصوّرات الوضعية، ومن أهم الانحرافات الباطنية ما يلي:

ـ الكبر : وهو بطر الحق وغمط الناس، أي: ظنّ الإنسان في نفسه أنه خيرٌ من الآخرين، فيعظّم نفسه، ويحقر غيره. وإذا استقر الكبر في النفس ظهرت آثاره على سلوك صاحبه في التكبّر، ويكفيه كونه أشد سوءًا بأنه كان سبباً في إبعاد إبليس من رحمة الله تعالى للأبد، حيث قال تعالى: (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وكانَ من الكافرين) [البقرة : 34].

ـ الحسد: هو كراهية الإنسان لنعم الله تعالى التي أنعم الله بها على الآخرين، وتمنّي زوالها عنهم. وفي هذا المعنى يقول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : " إنّ لنعم الله أعداءً" فقيل : ومن هم ؟ قال : " الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله "[23] . فالحسد سخط على قضاء الله تعالى في إنعامه على المحسود. وقد نهى الله تعالى عن الحسد، وأمر بالتعوّذ من شرّ الحاسد في سورة الناس، كما حذّر الرسول عليه الصلاة والسلام عنه قائلاً :" الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النارُ الحطب "[24] .

ـ سوء الظنّ : هو نسبة السوء إلى من لا ينسب السوء إليه عادةً، واتهامه بما ليس فيه من صفات سيئةٍ، أو نسبته ما لم يرتكبه من أفعال ذميمةٍ، ومن أكبر الظنّ سوء الظن بالله تعالى، وعدم الرضاء بقدره وقضائه، وسوء الظنّ بالناس بنسبة العيوب والنقائص إليهم، والشك في نياتهم، وتوقّع الشرّ منهم، وقد نهى الله تعالى عن كثير من الظنّ، فقال: (اجتنبوا كثيرًا من الظّنّ إنّ بعضَ الظنّ إثْمٌ)[الحجرات: 12].

ـ الرياء : هو طلب المنـزلة في قلوب الناس بأن يريهم الإنسان صفات الخير من نفسه على غير الحقيقة، والرياء نوع من الشرك بالله ـ وإن كان هو ما يسمّى الشرك الأصغر ـ فإن الله سبحانه وتعالى هو مقصود المؤمن في عبادته ، فإذا قصد الإنسانُ غيرَه سبحانه فقد أشركه مع الله عزّ وجلّ في العبادة، فالرياء كذلك نوع من الشرك . وللرياء أنواع، منها : الرياء في أصل الدين بحيث يظهر الإنسان إيمانه وهو يبطن الكفر، والرياء في العبادات، وفي الطاعات، وقد ذمّ الله تعالى: (يُراؤون الناسَ ولا يَذكرُونَ إلاَّ قليلاً) [النساء: 142]. ومن الانحرافات الباطنية أيضاً اتّباع الهوى والنفس الأمّارة، والمبالغة في الغضب، والعُجب، واليأس، والطيرة، والطمع، والبخل وغيرها من الانحرافات[25] التي لا يتسع مجال بيانها هنا .

ويمكن كذلك تقسيم الانحراف من حيث توقيتُ العقوبة إلى قسمين :

أولاً : انحرافات لها عقوبة عاجلة :

والمراد بذلك الانحرافات التي جعل لها الشرع عقوبة عاجلة دنيوية؛ وذلك لأهداف متعددةٍ، منها : الزجر عن الانحراف، وتطهير المنحرف؛ لأنّ عقوبة الدنيا مهما كانت شدتها أخف من عقوبة الآخرة، ولأنْ تهدأ نفس الضحيّة، فلا يسعى لقصاص لنفسه بنفسه، وهذه الانحرافات تنقسم إلى ما يلي :

أ ـ انحرافات الحدود :

هي الانحرافات التي تمثّل اعتداء على حدود الله تعالى ومحارمه، كما جاء في الكتاب والسنّة المطهّرة، وقد حدّد الشرعُ هذه الانحرافات وحصرها، وحدّد كذلك عقوبةً لكل منها، وهذه الانحرافات هي : الردة، والبغي، والحرابة، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والقذف. وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية لكل من هذه الجرائم العقوبة التي توقع على مرتكبها، وكيفية تطبيقها. والحدّ حق الله سبحانه وتعالى، فلا يقبل الإسقاط، أو العفو في الفرد أو الجماعة، كما ثبت في الحديث الصحيح الذي روتها عائشة رضي الله عنها : " أنّ قريشاً أهمّهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلّم فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلاّ أسامة بن زيدٍ، حِبّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؟ فكلّمه أسامة فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتشفع في حدٍّ من حدود الله تعالى ، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف، أقاموا عليه الحدّ، وايم الله لو أنّ فاطمة بنتِ محمد سرقت لقطع محمد يدها "[26] .

ب ـ انحرافات القصاص والدية :

وهي الانحرافات التي يُعاقَب على ارتكابها بالاقتصاص منه، أو دفع الدية، وكلٌّ من القصاص والدية عقوبة محدودة ومعروفة، وليس لها حد أدنى أو أقصى، وهي من حقوق الأفراد فجوز العفو عنها، وهي: القتل العمد، وشبه العمد، والقتل الخطأ، والاعتداء كالجرح والضرب، وفي ذلك يقول الله تعالى: (يا أيُّها الذين آمنوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصاصُ في القَتْلى الحرُّ بالحرِّ والعبدُ بالعبدِ والأُنثى بالأُنثى فَمَنْ عُفِيَ له مِنْ أخيهِ شيءٌ فاتِّبَاعٌ بالمَعْروفِ وأدَاءٌ إليه بإحسانٍ)[البقرة : 178].

جـ ـ انحرافات التعزير :

التعزير هو التأديب: وقد نصّت الشريعة الإسلامية على بعض هذه الانحرافات، ومنها: الربا وخيانة الأمانة، والسبّ، والرشوة، ولم تحدد عقوبة معينة لكل منها كما هو الأمر في النوعين السابقين، ولكن يوجد حد أدنى وحد أقصى لجرائم التعزير، ويترك للقاضي الحكم بالعقوبة التي تقتضيها مصلحة المجتمع، وظروف ارتكاب الانحراف، ومن أمثلتها في السنّة النبوية السرقة التي لا توجب الحدّ، ومماطلة المدين الموسر، والشطط في تأديب الزوجة والأبناء[27].

ثانياً : انحرافات عقوباتها في الآخرة :

توجد في الإسلام انحرافات متعددة،لم تحدد لها عقوبات دنيوية على الرغم من النص على تحريمها، وقد توعّد الله تعالى من يرتكبها بعقوبات أخروية، مثل : الكفر، والنفاق، والمشي بالنميمة، وسوء الظن، والغيبة، وأكل الميتة، ولحم الخنزير، والحسد وغيرها .

ثالثاً : انحرافات عقوباتها الإلهية في الدنيا والآخرة :

هناك انحرافات توجد لها عقوبات في الدنيا والآخرة، ومن ذلك: الإعراض عن ذكر الله تعالى، كما قال تعالى: (وَمَنْ أعْرَضَ عَنْ ذكْرِي فإنَّ له معيشةً ضنكاً ونحشُرُه يومَ القيامةِ أعمى)[طــه: 124].

ويمكن أيضاً تقسيم الانحراف من حيثُ كبائر الذنوب وصغائرها :

يتضح من النصوص الشرعية أن للانحرافات درجات من حيث جسامتها، وصغرها، كما في قوله تعالى : (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً) [سورة النساء: 31]. وبناء على ذلك يمكن تصنيف الانحراف إلى ما يلي :

أ ـ الكبائر : المراد بها كبائر الذنوب والمعاصي، وأعظمها الموبقات السبع ، وهي : الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات[28] . وقد أوصلها بعض العلماء إلى السبعين ؛ بحيث يعدون كل ما ورد بشأنه من إنذار، أو وعيد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ويطلقون عليه كبيرة ، والكبائر كثيرة، منها : الظلم، الرياء، الرشوة، الربا، وإسبال الثياب تحت الكعبين وغيرها[29] .

ب ـ السيئات (الصغائر) : وهي كل السيئات التي لم يرد ذكرها بين الكبائر، وتتحول صغائر الذنوب إلى كبائرها مع الإصرار، إلا أنها تُكفر ببعض الحسنات، كقوله تعالى : (إنّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السيِّئات) [هود : 114] ، ومن ذلك أيضاً: الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان ...كفارة لما بينهما من السيئات إذا اجتنبت الكبائر[30] ، كما ثبت ذلك بالحديث الصحيح[31] .

رابعاً : معالجة ظواهر الانحراف الاجتماعي " رؤية إسلامية " :

أن ظاهرة الانحراف الاجتماعي ظاهرة معقدة، ولذلك فالحاجة ماسّة إلى معالجتها ومواجهتها، تكون قوامها التكامل والشمول، ويقتضي ذلك ضرورة الربط بين جهود وخطوات المعالجة لظاهرة الانحراف، وخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تقوم بدورٍ فعالٍ لتطوير المجتمع، وتنمية البنية الاجتماعية متفاديةً الانعكاسات السلبية المولدة للإجرام والانحراف.

وبناء على ذلك يمكن معالجة ظواهر الانحراف الاجتماعي في المجتمع الإسلامي والتصدّي لها إذا اعتمدت هذه المعالجة على الطريقتين الرئيستين، وهما :

الأولى: التعليم الإسلامي :

أنّ الجانب الديني والأخلاقي هو المبدأ الأساس الذي ينبغي أن ترتكز عليه، وتنطلق أية جهود أو خطط لمواجهة ظاهرة الانحراف في المجتمع الإسلامي، وعليه ينبغي أن تتأسس هذه الجهود على البنية الإسلامية. ولذلك تعدّ الرؤية

الإسلامية محورًا رئيساً تدور حولها معظم صور المواجهة والتصدّي لما له من تأثير بالغٍ في هذا الشأن؛ لأنّ الدين الإسلامي يؤدي دورًا مهماً في تقويم النفوس وتهذيبها على الطريق المستقيم؛ وذلك لما يحييه في النفوس من مفاهيم الطاعة، والاستقامة والثواب والعقاب والخير والشر، ومراقبة الله تعالى من خلال ممارسة الأعمال الصالحة والواجبات الدينية [32]. ويؤكد أن الدين يلعب دورًا رئيسًا لمعالجة ظاهرة الانحراف الاجتماعي أنه يقوم على مجموعة من الحقائق، ومن أهمها :

أ ـ أن ضعف الوازع الديني والذات الأخلاقية من شأنه أن يجعل الفرد فريسة للأزمات النفسية والاضطرابات السلوكية التي تؤدي إلى الانحراف .

ب ـ أن الشعور الديني يوفر آلية للضبط الذاتي لدى الفرد المسلم بحيث يحرص على أن يبتعد بنفسه عن ألوان الانحراف وصوره .

جـ ـ أن للإسلام منهجه المتميز في معالجة ظاهرة الانحراف وتقويم سلوك الإنسان؛ لأنه يهتمّ بغرس وتنمية الشعور الديني في نفوس الأفراد وإيقاظ ضمائرهم التي تحكم سلوك المسلم وتضبطه بضوابط الشرع. وذلك بتحقيق وسائل التربية المؤثرة في بناء المجتمع المثالي من جهةٍ، ومن جهة أخرى تنشئة أفرادٍ وجيلٍ يمارسون فعل الخيرات وترك المنكرات، ويبتعدون عن الأعمال المنحرفة وظواهرها، ويتربّون على النموذج المثالي عقدياً، وخلقياً، ويتكوّنون علمياً ونفسياً واجتماعياً. وتتركز هذه الوسائل على أمورٍ خمسةٍ، وهي: التربية بالقدوة، والتربية بالبيئة الصالحة، والتربية بالموعظة، والتربية بالملاحظة، والتربية بالعقوبة .

أما القدوة فإنها تعتبر من أهم الوسائل في إعداد الفرد خلقيا ونفسيا واجتماعياً، فالقدوة عاملٌ كبير في إصلاح الفرد وفساده، فإذا كانت القدوة حسنةٌ نشأ الفرد في المجتمع على الصدق والأمانة والخلق الكريم، ولذلك جعل الله تعالى نبيّه عليه الصلاة والسلام قدوة حسنة للناس أجمعين، فقال تعالى: (لقَدْ كانَ لكم في رسولِ الله أسوةٌ حسنةٌ) [الأحزاب: 21]، فالرسول عليه الصلاة والسلام يمثّل صورةً كاملةً للمنهج الإسلامي؛ ليكون للأجيال المتعاقبة الصورةُ الحيّةُ الخالدة في كمال خُلُقه وشمول عظمته .

ومنها القدوة بالبيئة الصالحة: ومن الأمر المؤكد أنّه إذا تيسّر للفرد عاملُ البيئة الصالحة فإن الفرد ينشأ على الإيمان الحق، ويتخلّق بأخلاق الإسلام، ويصل إلى قمّة الفضائل النفسية والمكارم الذاتية، فلا ينحرف عن الطريق السويّ .

وكذلك التربية بالموعظة، وذلك لأنّ الموعظة الحسنة للفرد وتذكيره بالنصيحة الطيّبة في المجتمع المسلم تكون عاملاً كبيرًا في بناء المجتمع النموذجي؛ لما لها من أثرٍ بالغٍ في تبصير الفرد حقائقَ الأشياء ودفعه إلى معالي الأمور، وتحلّيه بمكارم الأخلاق. والنصوص الشرعية كثيرة جدًا في هذا الشأن.

وأما تربية أفراد المجتمع بالملاحظة فذلك يتمّ عن طريق ملازمتهم ومراقبتهم في التكوين العقدي والأخلاقي، وفي الإعداد النفسي والاجتماعي، والسؤال المستمر عن أحوالهم؛ ليكونوا أفرادًا متوازنين متكاملين يعرفون كل حق في الحياة، ويؤدّون كل ذي حقٍ حقَّه، ويحسّون بمسؤولياتهم وواجباتهم .

وأما تربية الأفراد بالعقوبة التي قرّرتها الشريعة الإسلامية فذلك للمحافظة على الضروريات الخمس، وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العِرْض، وحفظ العقل، وحفظ المال. وهذه العقوبات تُعرَف في الشريعة الإسلامية باسم الحدود والتعزيرات. فالحدود هي كحدّ الارتداد، وحدّ قتل النفس (القصاص) وحد القذف، وحدّ الزنا، وحدّ الإفساد في الأرض وغيرها. وأما التعزيرات فهي عقوبات مقدّرة تجب في كلّ معصيةٍ ليس فيها حدٌّ ولا كفارةٌ، وهي كالحدود في الزجر والتأديب الاستصلاحي للمجتمع .

والعقوبة مهما كانت سواء أكانت عقوبة حدٍّ وقصاص، أم عقوبة تعزيرٍ فهي العلاج الحاسم الحازم لمعالجة الشعوب وإصلاح الأمم، ومواجهة ظواهر الانحراف والجرائم، وتثبيت دعائم الأمن والاستقرار في المجتمع والدولة. والأمّة التي تعيش بلا عقوبة لمجرميها خاصة عقوبة الحدود والتعزيرات هي أمّة منحلّة متفككة الكيان، منقطعة الروابط والأوصال، تعيش فوضى اجتماعية دائمة، وفي تخبّط مستمر من الانحراف.

الثانية : إسهام الخدمات الاجتماعية :

وللخدمات الاجتماعية دورٌ كبيرٌ في مواجهة ظاهرة الانحراف، ويمكن تحديد إسهامات الخدمة الاجتماعية في مواجهة هذه الظواهر من خلال الأدوار التالية :

1 - الدور الوقائي للخدمة الاجتماعية: هناك ثلاثة مستويات للوقاية في الخدمة الاجتماعية، وهي:

الأولى: هي تلك الجهود التي تستهدف منع الظروف المسببة للمشكلات الاجتماعية من الظهور.

الثانية: هي الجهود التي تستهدف الحد من خطورة المشكلة بالاكتشاف المبكر لها وعزل تأثيراتها عن الآخرين إلى حد أدنى ممكن .

الثالثة: هي الجهود التأهيلية التي تستهدف مساعدة الأفراد الذين وقعوا في المشكلة لعلاج تأثيراتهم وتنمية قدرتهم بما يحول دون عودتهم إلى العمل الانحرافي مرة أخرى(33) .

2 ـ الدور العلاجي للخدمة الاجتماعية : تقوم الخدمة الاجتماعية بدورها المهني بعلاج الفاعل المنحرف، أو التخفيف من شدة الانحراف على الأقل. ويتحدد هذا الدور بشكل أساس في :

ـ الدراسة الواسعة للتعرف على العوامل الأساسية والثانوية التي أدت إلى انحراف الفاعل .

ـ تشخيص المظهر والسلوك الانحرافي وتحديد عوامله ودوافعه ومسبباته.

ـ وضع خطة التدخل المهني المناسبة التي تتضمن برنامجاً محددًا لعلاج السلوك الانحرافي .

3 ـ الدور التتبعي للخدمة الاجتماعية: وتقوم الخدمة الاجتماعية بهذا الدور بعد دورها العلاجي لتتبع الفرد المنحرف؛ ضماناً لتكرار السلوك والفعل المنحرف لدى الفاعل، وبذلك تكشف عن مدى تأثير الأدوار المهنية أثناء مواجهة انحراف الفرد. ويتضح هذا الدور بصورة جلية في الرعاية اللاحقة للأحداث، وكذا برامج الرعاية الموجهة للمفرج عنهم وأسرهم بعد الإفراج عنهم .

وهذا ما تيسّر لي في عرض هذا الموضوع ودراسته وافيةً مفصلّةً بحيث تبيّن فيها مفهوم الانحراف لغةً واصطلاحاً في التصوّر الإسلامي، والتصوّرات الغربية، مع بيان عوامل ظواهر الانحراف الاجتماعي وأسبابها، وأنواعها بشكل مفصّل، ثم ألحقت بذلك كيفية معالجة هذه الأمراض الاجتماعية في المجتمع الإسلامي وطرقها والتصدّي لها؛ لكي لا تظهر الانحرافات الاجتماعية الخطرة التي تزعزع أمن البلاد وتهدّد استقرارها، ويتفشّى فيها الفساد والفوضى الاجتماعية التي تؤدي بها إلى الهلاك والدمار. فالعلاج الأساسي لذلك هو تربية أفراد المجتمع وتنشئتهم عقدياً وخلقياً ونفسياً، واجتماعياً وفق منهج الإسلام المتميز المستمد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، مع إسهام الخدمات الاجتماعية المبنية على التوجيه الديني والتوعية الربانية التي تكون ضماناً لإيقاظ الشعور الإيماني الحق في

الفرد المسلم ومراقبته لله تعالى في السر والعلن، فلا يبتعد عن الصراط السويّ ولا ينحرف عنه، فلا تجد ظاهرةُ الانحراف الاجتماعي فرصة التسرّب إلى المجتمع الإسلامي، فيمثّل هذا المجتمعُ المجتمعَ المثالي والنموذجي الذي يتمتع فيه أفراده بالأمن والرخاء والاستقرار والسعادة إن شاء الله تعالى .

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

المصادر والمراجع :

1. إبراهيم عبد الرحمن رجب، *مداخل التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية*، أعمال ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، 10 - 13 أغسطس 1991م ، ص : 44 .
2. ابن منظور، لسان العرب، بيروت؛ دار صادر، ج9ص 42 .
3. محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان النحوي، *البحر المحيط*، بيروت؛ دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (1993م)، ج6 ص 329.
4. القاضي أبو محمد عبد الحق ابن عطية، *المحرر الوجيز*، (طبعة عام 1988م) ، ج11 ص 181.
5. جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، *الكشاف*، بيروت؛ دار المعرفة، ج3 ص 27 .
6. سمير نعيم أحمد، *الدراسة العلمية للسلوك الانحرافي*، القاهرة ؛ مكتبة سعيد رأفت (1985م)، ص : 25 .
7. المرجع السابق .
8. عدنان الدوري، *أسباب الجريمة والسلوك الإجرامي*، الكويت؛ دار السلاسل (1984م)، ص : 63 - 67 .
9. على حسين المشرفي، *المنهج الإسلامي في تدريس علوم الإجرام* ، أعمال مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، جامعة الأزهر، القاهرة ؛ (18 - 23 إبريل، 1992م) ، ص 769: - 770 .
10. على سبيل المثال: ـ محمد شحاته ربيع وآخرون، *علم النفس الجنائي*، القاهرة ؛ دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، (1995م)

ـ صالح إبراهيم الصنيع ، *التديّن علاج الجريمة*، الرياض، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (1993م).

ـ صلاح عبد المتعال ، *مستقبل التنمية ـ نحو بديل حضاري إسلامي* ـ القاهرة؛ دار الشرق الأوسط للنشر، (1991م)، وغيرها .

11. إبراهيم عبد الرحمن رجب، *مداخل التأصيل الإسلامي... للخدمة الاجتماعية* ، مرجع سبق ذكره، ص : 46 - 51 .

12. محمد شحاته ربيع وآخرون، *علم النفس الجنائي*، مرجع سبق ذكره ، ص : 591 - 600 .

13. علي حسين المشرفي، *المنهج الإسلامي في تدريس علوم الإجرام*، مرجع سبق ذكره ، ص : 777 - 779 .

14. صالح إبراهيم الصنيع : *التدين علاج الجريمة*، مرجع سبق ذكره .

15. علي حسين زيدان، *دور الخدمة الاجتماعية في العمل مع المنحرفين " من منظور إسلامي"* ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، القاهرة؛ (10 - 13 أغسطس، 1991م)، ص :10 .

16. على سبيل المثال : محمد أبو زهرة في كتابه : *الجريمة والعقاب في الفقه الإسلامي* ، (1976م)، ومحمد سليم العوا في كتابه : *في أصول النظام الجنائي الإسلامي* ، (1979م)، وكامل إبراهيم مرسي في بحثه: *علاقة الانحرافات النفسية الباطنة بالصحة النفسية والجسمية*، (1989م)، وعلي حسين زيدان في بحثه : *دور الخدمة الاجتماعية في العمل مع المنحرفين* ، (1991م) .

17. صحيح البخاري (ضمن الكتب الستة وشروحها)، تونس؛ دار سحنون، الطبعة الثانية ، ج5 ص 2238، رقم الحديث 5663 .

18. صحيح البخاري ج5 ص2240 ، برقم 5672 مصدر سبق ذكره .

19. بدر الدين العيني، *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*، بيروت؛ دار الفكر، الطبعة الأولى (1998م) ج15 ص552، برقم 6477.

20. أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، *رياض الصالحين* ، الرياض، طبعة مؤسسة الحرمين، دار السلام للنشر والتوزيع، ص : 576 ، رقم الحديث 1555 .

21. الإمام أحمد بن حنبل، *مسند أحمد*، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة؛ دار الحديث، الطبعة الأولى (199م)، ج4ص: 162 ، برقم 17518.

22. ابن حبان عن عبد الله بن عمرو . *صحيح ابن حبان*، ج580/11 ، برقم 5177 .

23. الطبراني في الأوسط عن ابن عباس . المغني *عن حمل الأسفار في تخريج ما جاء في الأحياء من الأخبار*، للحافظ أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، مكتبة طبرية، الطبعة الأولى، (1415هـ) ، ج2 ص : 864 ، رقم الحديث : 3176 .

24. ابن ماجه ، *سنن ابن ماجه*، القاهرة؛ دار الحديث، الطبعة الأولى (1998م) ج3 ص504، برقم: 4210.

25. *علاقة الانحرافات النفسية الباطنة بالصحة النفسية والجسمية*، مرجع سبق ذكره ، ص : 7.

26. الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها. *صحيح مسلم بشرح النووي*، بيروت؛ دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى(1995م)، ج 11 ص115، برقم : 1688.

27. محمد سليم العوا، *في أصول النظام الجنائي الإسلامي* ، القاهرة ؛ مكتبة دار المعارف، (1979م)، ص : 241 - 250 .

28. الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه . *صحيح البخاري* ج3 ص 1017، برقم : 2615 .

29. للاستزادة : الكبائر ، شمس الدين الذهبي، القاهرة ؛ مكتبة دار الفكر .

30. علي حسين زيدان، *دور الخدمة الاجتماعية في العمل مع المنحرفين من منظور إسلامي*، مرجع سبق ذكره، ص : 20- 38.

31. الإمام النووي ، *رياض الصالحين*، مرجع سبق ذكره ، ص : 320، 365 .

32. عبد الحليم أحمد السواس، أركان الإسلام وأثرها في معالجة إدمان الأدوية المخدرة، *مجلة الأمن*، تصدر عن الإدارة العامة للعلاقات والتوجيه، وزارة الداخلية السعودية، العدد التاسع، الرياض، ربيع الأول (1415 هـ) ، ص : 13 .

33. ماهر أبو المعاطي وآخرون ، *الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية في مجال رعاية الشباب*، القاهرة ؛ مركز نور الإيمان للطباعة، (2000م)، ص : 207 - 208 .